تبجيل الشهداء في قسطنطينة وضواحيها في الفترة المسيحية-البيزنطية

أ. د. ياسين رابح حاجي(معهد الآثار- جامعة الجزائر2)

ملخص:

يتمثل هذا البحث في عرض الحياة المسيحية في عاصمة مقاطعة نوميديا خلال الفترة المسيحية وضواحيها من خلال الاثار المتمثلة اساسا في البازيليكات المسيحية المنتشرة سواء في المدينة في حد ذاتها او في المواقع القريبة في الضواحي اي ضمن الاقليم القسنطيني، مع محاولة ذكر اهم الشهداء المسيحيين من خلال النقائش الاثرية.

Abstract :

This article aims to show a Christian life in the capital of the province of Numidia and its surroundings during the early christian era, through the archaeological evidences represented mainly in the ancient Christian basilicas spread in cirta city or in the neighboring sites of the Constantine territory, we try to mention the most important Christian martyrs through archaeological inscriptions.

مقدمة:

احتضنت قسطنطينة احداث تاريخية مهمة في الفترة المسيحية، خاصة بعد الاعتراف بالمسيحية كدين للدولة من طرف الامبراطور قسطنطينوس الذي ساهم بشكل فعال في اعادة بعث الحياة الدينية في المدينة، بعد تدمير اغلب معالمها من طرف الدوناتيين الموالين للإمبراطور ماكسنتيوس المسمى من طرف الباحثين المتسلط او الغاصب للسلطة[1]، والمتمثلة اساسا في البازيليكات المسيحية، وبعد انتصار قسطنطينوس على ماكسنتيوس واصبح الامبراطور الوحيد في الغرب[2]، اعلن مرسوم ميلانو سنة 313م، ومنه اعلان المسيحية دين للدولة سنة 325م، تم اعادة احياء المدينة من جديد ببناء اهم معالمها وخاصة الدينية، وكرد للجميل على مجهوداته وسخاءه سميت كيرتا بقسطنطينة[3].

ذكر المؤرخ المسيحي أوبتاتوس الميلي في كتابه[4] انه تم بناء بازيليكات مسيحية في قسطنطينة[5] في عهد الامبراطور قسطنطينوس واخذت المدينة ابعاد كبيرة، يليق بمكانتها

كعاصمة لمقاطعة نوميديا. ذكر كذلك المؤرخ المسيحي اوسيبيوس القيصري ان عهد قسطنطينوس شهد تهديم بازيليكات مسيحية صغيرة قديمة واستبدالها بأخرى جديدة اكبر وأوسع ذات النموذج القسطنطيني[6].

شهدت هذه الفترة اي فترة القرن الرابع ميلادي احداث مهمة في حياة الكنيسة النوميدية في قسطنطينة، الا وهي الصراع الديني[7] بين الكاثوليكيين والدوناتيين. كان هذا الصراع حسب جل الباحثين والنصوص الكنسية المعاصرة صراع دموي ترتب عليه سقوط عدة ارواح في سبيل قضية كل حزب او طرف، فالدوناتيون كانوا يسمون كنيستهم بكنيسة الشهداء بكونهم احفاد المقرون بالعقيدة[8]، ولا يعترفون بكنيسة الكاثوليكيين الذين يعتبرون احفاد المخاذلين[9]، والموالين للسلطة الامبراطورية منذ ايام قسطنطينوس، فنجد ان كل ميت دوناتي يعتبر شهيد حسب طائفته، وبالتالي يدفن بجوار القديسيين والشهداء او تدفن رفاته في بازيليكا مسيحية جنائزية خاصة بإحياء طقس تبجيل الشهداء لكل منطقة من مقاطعة نوميديا، كونها معقل التيار الدوناتي. وبالتالي انتشرت عبادة وتبجيل الشهداء والقديسين[10] في افريقيا وفي نوميديا خاصة، كما ذكرتها النصوص الكنسية[11]، وحتى المعطيات الاثرية من اكتشاف رفات شهداء وضعت كحجر اساس لبناء بازيليكات مسيحية جنائزية خاصة بتبجيل الشهداء حسب رزنامة خاصة بهم، بجانبها نقائش تقر بوجود رفات مقدسة لشهداء بأسمائهم في اغلب الاحيان.

ترجم هذا الصراع اثريا من خلال النشاط العمراني الكثيف والتنافس الديني الذي ادى الى بناء عدة بازيليكات مسيحية لكل طائفة لامتلاك العدد الكبير الذي يسمح لها من السيطرة على المنطقة او على المقاطعة او على المدينة بأسرها كما حدث في مدينة ثاموقادي، التي كانت تحت سيطرة الدوناتيين، اما فيما يخص مدينة قسطنطينة فكانت بها ابرشية كاثوليكية موالية للسلطة الامبراطورية واخرى دوناتية مناوئة للسلطة، حسب الشواهد الاثرية من نقائش بالإضافة كما تقدمنا به من خلال النصوص القديمة اعلاه، حيث كان الكاثوليكيون يدعمون عن قصد او عن غير قصد سياسة السلطة الامبراطورية، لا لكونهم قبلوا "السلام القسطنطيني" ومسالمة المسيحيين للسلطات الزمنية فقط، ولكن لكونهم ايضا يمثلون جانبا اساسيا من وحدة الامبراطورية، الا وهو الجانب الديني. وبالتالي فانهم كانوا ضد كل الانشقاقات الدينية الاقليمية او الجهوية او المحلية التي يمكن ان تكتسي لون المعارضة الوطنية للسلطة الامبراطورية[12].

امر الامبراطور هونوريوس بعقد اجتماع كنسي سنة 411م[13] تحت الحاح الاساقفة الكاثوليكيين خوفا منهم من انتشار التيار الدوناتي في نفوس المسيحيين في افريقيا عامة وفي نوميديا خاصة اي في المدن الكبرى، -بعد سياسة التسامح التي اقرها الامبراطور سنة 410م بسن مرسوم يدعو فيه التسامح مع المنشقين (الدوناتيين)- لفض الجدال في قرطاجة بإدارة الوكيل الامبراطوري ماركيلينوس بصفته مفوض امبراطوري[14].

تم ادانة طائفة الدوناتيون كفرقة ضالة اي هرطقة، وطلب منهم للدخول في كنف الكنيسة الارثوذكسية الكاثوليكية والا تصادر ممتلكاتهم، ويعاقبون بالتعذيب والموت والنفي[15].

انتشرت عبادة الشهداء القديسين بكثرة في فترة القرن السادس ميلادي في كل ارجاء الامبراطورية الرومانية، حيث نجد قديسين –شهداء غير أفارقة جيء بهم من المشرق الى المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي[16].

1 - المعطيات الاثرية:

سنتطرق الى مدينة قسطنطينة وضواحيها من الجانب الاثري، لمعرفة مدى حركية النشاط الديني، بمحاولة اسقاط النصوص المؤرخين الكنسيين القدامى المعاصرين لهذه الفترة على الجانب الاثري، ولكننا لن نتطرق الى التمييز بين الطائفتين، لعدم وجود ادلة تمكننا من تحديد كل ما هو دوناتي او كاثوليكي، للجدير بالذكر، فان كلتا الطائفتين تتبع عقيدة واحدة الا وهي عقيدة الثالوث الاقدس، لذا فمن الجانب الاثري فيما يخص العمارة في كيفية تنظيم التجهيزات الليتورجية، فإننا لن نجد الفرق بينهما، الا من جانب النقائش، ففي الوقت الحالي لم يعثر على لقى جديدة تمكننا من القيام بهذا التمييز. ففي الضواحي، فقد احصينا 15 موقعا اثريا. تقع جل هذه المواقع في محيط قطره لا يتجازر 60كم من مركز مدينة قسنطينة، سنركز على الخمسة التي تحتوي على بازيليكات مسيحية، اما الاخرى فقد وجدت بها لقى اثرية في محتوى اثري مجهول نظرا لظروف اكتشافها بالصدفة، ولكن على الارجح، كانت جلها في بازيليكات مسيحية خاصة بعبادة الشهداء والقديسيين اي بازيليكات جنائزية. وهي كالاتي:

2 - قسطنطينة (المخطط 01):

حسب المعطيات الاثرية، وجدت في وسط مدينة قسطنطينة بازيليكا مسيحية واحدة،

وبازيليكا مسيحية اخرى في مكان يسمى سيدي مبروك على الضفة الاخرى من واد الرمال، وفي عدد من النقائش التي تم اكتشافها في الفترة الاستعمارية في قسنطينة وضواحها.

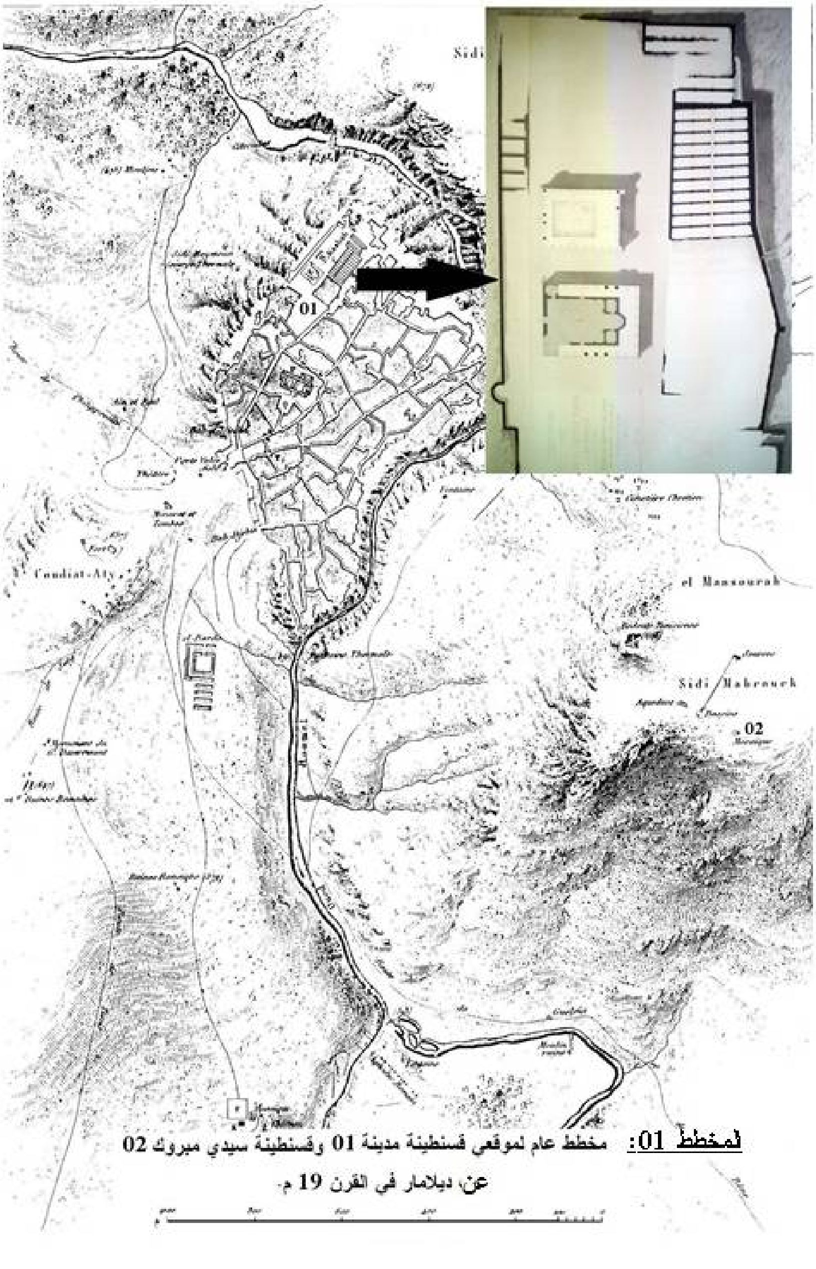

لمخطط 01: مخطط عام لموقعي قسنطينة مدينة 01 وقسنطينة سيدي ميروك 02

عن، ديلامار في القرن 19 م.

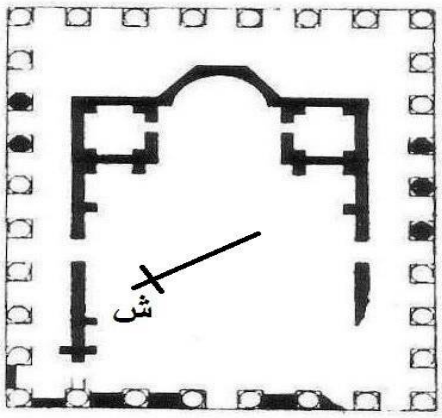

مخطط بازيليكا موقع قسنطينة مدينة .
عن قزال.

2 - 1 البازيليكا المسيحية بقسطنطينة المدينة (المخطط 02): تتميز بمخطط بازيليكي، بنيت فوق اسس معبد الكابتول حيث اعيد استعمال الواجهة الغربية ودمج اعمدتها في جدار الواجهة. اندثرت في سنة 1844م لبناء مستشفى. حُوِّل المبنى الى مخزن للذخيرة قبل ان يندثر، من طرف الجيش الفرنسي. تتكون من ثلاثة اجنحة، تتجه نحو جنوب-شرق. ابعادها: 36.80م × 23.30م. بنت بالتقنية الافريقية بالنسبة للجدران الجانبية للمبنى باستعمال عدة مواد انشائية معاد استعمالها. بالنسبة للحركة المرورية: يوجد مدخل رئيس في وسط الواجهة الغربية بين عمودين اللذين ينتميان الى الرواق المعمد لمعبد الكابتول ومدخلين جانبيين في وسط الجدار الجانبي لكل جهة وعلا المدخل للجدار اليسار صليب منحوت. يتم الوصول الى المدخل الرئيس عن طريق منصة المعبد ارتفاعها 4.31م.

مخطط البازيليكا مزود بثلاثة اجنحة. ينتهي بالحنية نصف دائرية في الداخل ومضلعة في الخارج (ثلاثة اضلاع) وزودت هذه الاخيرة حسب أماتي Amati بثلاث نوافذ نصف دائرية في القمة. ونفس الشيء بالنسبة للغرفتين الخدميتين. عرض الحنية يقدر بـــ 7.30م. وجدت غرفتين الخدمية على جانبي الحنية ولا تتصلان بحيز العبادة الا مع الحنية، كانتا مقببتان بعقد متقاطع (**الشكل 01**). كما يدل عليه عِضادة الركن وأكده أماتي. وزودت بثلاث نوافذ كالحنية.

الشكل 01: الواجهة الغربية لبازيليكا موقع قسنطينة مدينة. عن: ديلامار.

اما بالنسبة للملحقات فربما وجدت غرفة مغطاة بقبة او بعقد حيث هيئت في نهاية الجناح الجانبي الايسر غربا في ركن الرواق المعمد للمعبد سابقا وعزلت عن الجناح ببناء جدار.

أورخت البازيليكا بفترة الامبراطور قسطنطينوس بدون أي ادلة، حسب دوبوش ورفوازي. اما قزال فرأى انها تعود الى الفترة البيزنطية من خلال تقنية البناء التي سماها المتبربرة أي الفضَّة وشكل الصليب الذي يعلو احدى المداخل. ووافقه الرأي دوفال للخصائص الحنية المضلعة وكذلك لتقبية الغرفتين الخدميتين.

البيبليوغرافيا:

AMATI, G., Viaggio da Milano in Africa, Mila, 1845, p. 436.

RAVOISIE, A., Exploration scientifique de l’Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Paris, 1846, pp. 2931-.

DUPUCH, M. A. A., Essai sur l’Algérie chrétienne, Turin, 1847, p. 16.

DELAMARE, A., Exploration scientifique de l’Algérie pendant les années 18401845-, archéologie, Paris, 1850, pl. 119.

CHERBONNEAU, A., In ann. Const. I, 1853, pp. 125126-.

GSELL, S., Les monuments antiques de l’Algérie, T. II, Paris, 1901, n° 44, pp. 192194-.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d’Afrique du nord, I. Inventaire de l’Algérie, 1. Texte, Paris, 1992, pp. 205207-.

3 - قسنطينة سيدي مبروك (المخطط 03):

يبدو ان الموقع الاثري لسيدي مبروك لم يكن ينتمي للمدينة القديمة الرومانية كيرتا. ولم يشخص بعد.

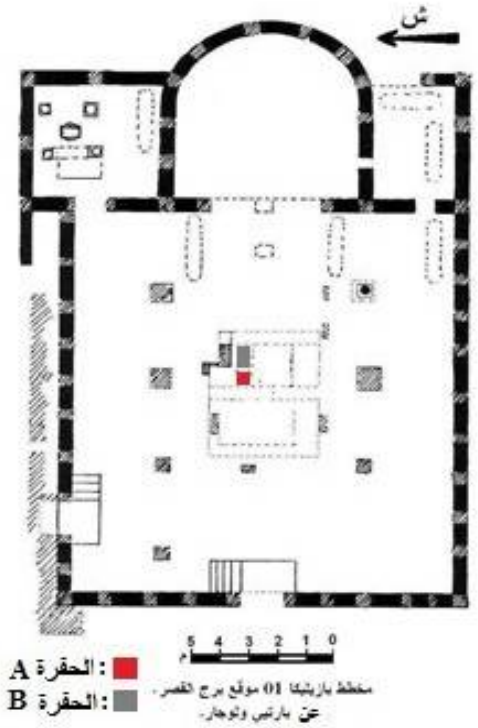

المخطط 03

اندثرت البازيليكا بعد اكتشافها. تتجه نحو شرق- شمال- شرق. ابعادها: 16م × 10.70م. بنيت بتقنية الحجارة المربعة، بوضعها في صفوف منتظمة ومتوازية. وبنيت اسس الحنية بحجارة شبه منحرفة الشكل وبانتظام على شكل قوس. تغطي الارضية فسيفساء، مكونة من لوحتين متجانستين، ولكن مختلفتين في الاجنحة الجانبية، ومن لوحة واحدة للجناح الاوسط، ولوحة مشتركة في كل من الخورس والحنية ونفس اللوحة بنفس الزخرفة في كل من الغرف الخدمية (**المخطط 04**). زودت البازيليكا بثلاثة اجنحة ابعادها 2.50م/4.10م/2.50م. عدد البلاطات (5 :(travée، وعرضها 1,80م.

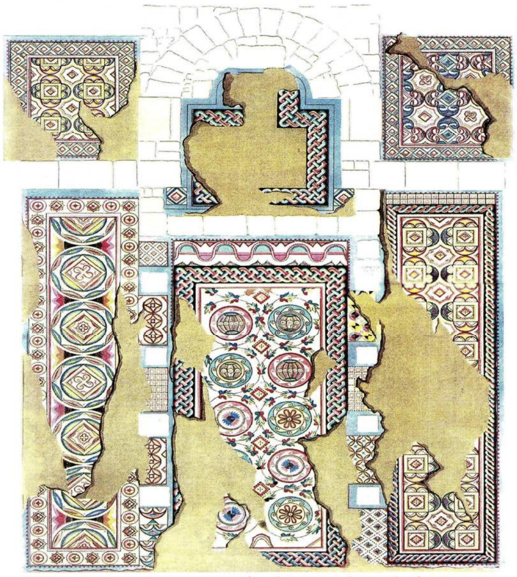

المخطط 04: أرضية فسيفسائية للبازيليكا. عن: ديلامار.

بنيت الحنية بشكل نصف دائري في كتلة بنائية مستطيلة الشكل، ومحدودة بالجدار المستقيم لصدر البازيليكا. عرضها 2.30م وبعمق 2.60م. ويبدو ان أرضيتا الخورس والحنية اللتان تشتركان في اللوحة الفسيفسائية كانتا على نفس المستوى وبارتفاع طفيف.

وجدت غرفتين خدميتين على جانبي الحنية (2.60م×3.20م) بارزتين نوعا ما مقارنة بالجدران الجانبية لحيز العبادة. فهي كما يبدو على نفس مستوى ارضية الحنية، تتصلان بالحنية عبر مدخل عرضه 1.40م وبالأجنحة الجانبية عبر مدخل عرضه 1.15م.

كان المذبح في الخورس حسب دوفال وقزال. والذي كان بدوره على نفس المستوى للأرضية. ولكن ارضية الخورس اندثرت، ولم يبقى الا الاطار الفسيفسائي له. وهذا ما يحول دون تعيينه بدقة. وجد السانترونس في نهاية الحنية مع الكاثدرا. أرخت هذه البازيليكا بالفترة البيزنطية لقرب المذبح من الحنية. وهذه من خصائص العمارية الليتورجية للفترة البيزنطية. ايضا من الجانب الزخرفي، فإنها تعود للفترة بيزنطية، استنادا إلى الأسلوب الفسيفسائي واختيار الاشكال. يظهر انه استعمل لزخرفة ارضية الجناح الاوسط أكاليل أقونستية (couronnes agonistiques)، وهذه الزخرفة نجدها مماثلة لتلك التي عثر عليها في الحمامات الصغيرة في منطقة تبسة.

البيبليوغرافيا:

DELAMARE, A., Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 18401845-, archéologie, Paris, 1850, pl. 150, fig. 01.

CHERBONNEAU, A., In Ann. Const. I, 1853, pp. 106, 125126-.

GSELL, S., Les monuments antiques de l'Algérie, T. II, Paris, 1901, n° 125, p. 259.

DE PACHTERE, F., Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique, III, Afrique proconsulaire, Numidie, Maurétanie (Algérie), Paris, 1911, n° 227, p. 55.

GSELL, S., Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845, archéologie, texte explicatif, Paris, 1912, p. 136.

DACL, col. 2725, 1618.

DUVAL, N. ; FEVRIER, P-A., « Le décor des monuments chrétiens d'Afrique, (Algérie-Tunisie) », In Actas del VIII congreso internacional de arqueologia cristiana, Barcelona, 0511- Octubre 1969, Citta del Vaticano, Barcelona, 1972, p. 18.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, Paris, 1992, pp. 207208-.

اما تلك المكتشفة في ضواحي مدينة قسطنطينة فهي:

03. محيجيبة[17]: الموقع القديم لم يشخص، ومن المحتمل انه كان قلعة (كاستلوم castellum) تابع لكيرتا. فحسب المعطيات الاثرية، وجدت بازيليكا في وسط الدولمانات ذات مخطط بازيليكي. تجهل حالة حفظها. تؤرخ بالفترة البيزنطية. ينتمي الموقع الى بلدية بن باديس / ولاية قسنطينة.

تتجه هذه البازيليكا نحو الشرق، بابعاد تتمثل في 15م×7م. بنيت جدرانها بالتقنية المربعة الضخمة كلسية مرتبة بصفوف منظمة ومتوازية، ظاهرة خاصة في الواجهة. اما فيما

يخص ابعاد حيز العبادة فهي: ؟م×6.20م. زود المخطط بمدخل رئيس في الواجهة الغربية حيث وُجدت عتبة بابه طولها 1.74م. وعرض الاجنحة هو: 1.75م/2.75م/1.70م، عددها ثلاثة اجنحة تفصل بنها صفين من الاعمدة، المتمثلة في اربع دعامات او اعمدة، ولم يذكر اية دعامة او عِضادة في نهاية الصفين على جدار الواجهة من الجهة الداخلية والحنية. وُجدت قواعد اعمدة من المرجح انها من مواد مجلوبة من مكان اخر. وببلاطات عددها خمس. وينتهي صدر البازيليكا بحنية نصف دائرية بارزة نحو الخارج ومرتفعة بـ0.65م، ويتم الولوج إليها بواسطة درج مركزي. توجد غرفتان خدميتان على جانبي هذه الحنية، حيث تتصلان بها، فالغرفة الجنوبية بارزة نحو الجنوب عن الجدار الجانبي الجنوبي للبازيليكا. اما فيما يخص التجهيزات الليتورجية، فكان الخورس محدود بجدار صغير قليل الارتفاع ابتداء من البلاطتين القريبتين للحنية، ويمتد هذا الخورس في الجهة الجنوبية-الشرقية للجناح الجانبي الأيمن. وفي مركزه حفرة (لوكولس) مقاساتها: 0.61م للقطر وعمقها: 0.75م. افترض بارتيي انه ناووس الذخائر لعثوره على كتل كبيرة من الجبس امام الحنية. تم العثور على طاولتين جنائزيتين اثناء الحفرية؛ واحدة في مركز الكنيسة والثانية اعيد استعمالها في جدار الغرفة الخدمية الشمالية. وتحملان كلتيهما نقيشتين الاولى منها من المرجح أنها لتبجيل الشهداء (**الصورة 01**).

Fig. 131.

الصورة 01: أ. عن: إيفات دوفال. DUVAL, Y., Op. Cit.، ب. عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م.

أُرخ إيداع للرفات الى الفترة البيزنطية المتأخرة (فترة حكم هيراكليوس)، حسب النقيشة الجنائزية لتبجيل الشهداء، حيث لا توجد اسماء (**الشكل 01**). وهذا لا يعني بالضرورة ان تأريخ المبنى يعود إلى هذه الفترة، فقد يكون سابق لهذا التاريخ.

Fig. 132.

C ...] *nci* [...

B

... *p]osite su[nt* ...
... *Fo]rtunatiani eps* [...
...] *eis proficio resrcs B* [...
4 ...] *regente african[a prob*...

A ...] *us be*
...] *is tra*
...] *tr*
4 ...] *doni*
...] *tr* [... ...] *ctori*
...] *spe qui* [... ...] *oro*
...] *patribus* [... ...] *e^c t_s*
8 ... *Er]aclio e* [.] *oraclio*
A

الشكل 01

البيبليوغرافيا:

LABORDE, E., In RSAC, 35, 1901, pp. 214215-.

BERTHIER, A. « La chapelle aux dolmens de Mahidjiba », in R. Af., 100, 1956, pp. 333338-.

DUVAL, Y., Loca sanctorum africae, le culte des martyrs en Afrique du VI au V siècle, II, Rome, 1982, n°95, pp. 197200-.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, 2. Illustration, Paris, 1992, pp. 209210-.

5 - **برج القصر (سيلا قديما):** تُجهل الرتبة القانونية للمدينة، ومن المحتمل من اصل إحدى القلاع التي كانت تحرس كيرتا أيام الكنفدرالية الكيرتية. والمعروف فيها هو أسقف سيلانسيس Silensis كاثوليكي في سنة 484م، الجدير بالذكر هو ان هذه الأبرشية تختلف عن أبرشية أخرى باسم أسقفها سيليتانوس Sillitanus الذي حضر في سنة 411م في قرطاجة وأسقف آخر سنة 484م. ذكر أساقفة آخرين في القرن السادس ميلادي، ففي سنة 585م وفي تاريخ سابق بقليل كتب محضر شهادة وضع الرفات. ينتمي الموقع لبلدية سيقوس / ولاية أم البواقي.

تقع البازيليكا الاولى في سفوح هضبة، على بُعد حوالي 100م غرب الحصن البيزنطي (حسب لوجار وبارتيي)، ذات مخطط بازيليكي. يجهل حالة حفظها، ولكن على الارجح، اندثرت.

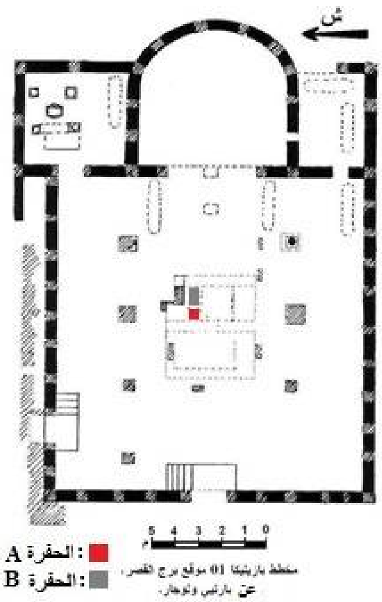

المخطط 05

تتجه البازيليكا نحو الشرق. وأبعادها: 22م×15.10م (**المخطط 05**). استعملت التقنية الافريقية في بناء جدران البازيليكا يتراوح سمكها 0.50م، وباستعمال الحجارة المنحوتة مختلفة الأبعاد المجلوبة من المباني الأخرى. اما تقنية بناء ارضية حيز العبادة، فتتميز بطبقة من الاسمنت يتراوح سمكها 0.08م إلى 0.10م. إلا ان المساحة (4.50م×3.80م) التي تغطي السرداب فهي مغطاة ببلاطات حجرية سمكها 0.16م. يبدو حسب الباحثة قي، أن الأرضية الموجودة حول البازيليكا، وخاصة ارضية الجدار الشمالي للبازيليكا، عبارة عن ارضية إسمنتية عرضها ما بين 0.90م و1م. اما مستوى أرضية هذه الأرضية، فكان على نفس أرضية حيز العبادة، ويمكن الافتراض حسب نفس الباحثة، أن سلالم الدخول جُهزت وبُنيت في فترة متأخرة عن فترة بناء البازيليكا، أين أصبح مستوى الأرضية الخارجية اعلى. وُجد في أرضية الحنية تراب مدكوك إلا انه عثر على أرضية من الاسمنت (1م عرضا و0.10م سمك) في الأطراف التي تحدها مع الجناح الأوسط. اما فيما يخص التسقيف، فقد عُثر على العديد من القرميد من نوع تيقولاي مما يدل على الارجح وجود مِحالة (Charpente).

يحتوي المخطط على مدخلين: احدهما في الواجهة الغربية، عرضه 1.50م وعتبته وُجدت على ارتفاع 1.65م من أرضية حيز العبادة، ويتم النزول إلى هذه الأرضية عبر سلم النزول مكون من ست درجات مسبوقة بسطح. في المخطط توجد أربع درجات (طول 1.15م×عرض 0.31م×ارتفاعها ما بين 0.24م و0.25م) بقيت في مكانها الأصلي. والطول الكلي للكتلة البنائية لسلم النزول هو 2.30م. والمدخل الآخر في الواجهة الشمالية قريب من الركن الشمالي-الغربي (عرضه 1.10م) وارتفاع عتبته بـ 1.10م مقارنة بأرضية حيز العبادة. اما سلم النزول يشبه سلم النزول للمدخل الغربي. بقيت ثلاث درجات من اصل أربع درجات على الارجح. بالإضافة إلى اعلى السلم فطول كل درجة منه: 0.90م، وعرضها: 0.35م، اما بالنسبة للدرجة السفلى الاولى 0.31م وارتفاعها 0.24م. طول الكتلة البنائية للسلم الكلية هي 2.50م، وكان محدودا هذا السلم بواسطة دِعام مربع (**المخطط 05**).

تتمثل ابعاد حيز العبادة في 14.20م×14م، ويتكون من ثلاثة أجنحة: 3.30م/7.30م/3م. وخمس بلاطات (travée) عددها 05 عرضها 3م الا في البلاطة الاولى فهي 1.10م (**المخطط 05**). لم يُعثر على أي عمود إلا دكات أعمدة، حيث ذكر بارتيي انه عثر على العمود الجنوبي في مكانه الأصلي القريب من الحنية، كانت قاعدته على نفس المستوى مع أرضية حيز العبادة، ويعلو القاعدة جذع دائري قطره 0.41م. اما بالنسبة للقواعد الاخرى فلا نعرف في أي

مستوى كانت. من الممكن حسب قي، انه تم استخدام الأعمدة الأخرى في بناء آخر. كذلك وُجد تاج كورنثي ارتفاعه 0.38م وعرضه 0.60م في الجهة العلوية و0.30م في الجهة السفلى.

تتميز الحنية بشكل نصف دائري وبارزة نحو الخارج، فتحتها على حيز العبادة بــ7.50م وعمقها 6.50م. وجد لوجار وبارتيي أثناء الحفر حجر رِباط مربع بين الحنية والجناح الأوسط، يفصل بذلك الحنية عن الجناح. وكانت أرضية الحنية على نفس مستوى أرضية حيز العبادة، وان موقع هذا العمود في الوسط لعب دور الفاصل. لهذا يتركنا نخمن ونوافق افتراض قي على انه ربما جزء من الجدار الساند للحنية بالإضافة إلى جدارين على طرفيها (**المخطط 05**)، مما تصبح الحنية مرتفعة عن حيز العبادة. يوجد على طرفي الحنية غرفتين خدميتين، إحداهما شمالية والأخرى جنوبية. لم تكن ارضية الجنوبية (4م × 2.90م) مبلطة بالإسمنت، وكانت تتصل بالجناح الجانبي الجنوبي عبر مدخل عرضه 0.70م. وأنها كانت تتصل مع غرف أخرى ملحقة بالبازيليكا عبر مدخل شرقي حسب لوجار وبارتيي، وكانت أرضيتها على نفس مستوى حيز العبادة. اما الغرفة الشمالية (4م × 4.50م)، فكانت بارزة عن الجدار الشمالي للجناح الجانبي بـ1.50م1.60-م، واحتوت على بيت التعميد، حسب وصف لوجار وبارتيي، انه كان هناك مستويين او طبقتين للأرضية، ولهما علاقة مباشرة مع حوض التعميد. فالمستوى الاول، كان اسفل مستوى ارضية حيز العبادة بـ0.78م ويتم النزول الى ارضية الغرفة بثلاث درجات كل درجة ترتفع بـ0.26م وينتهي السلم بسطح ابعاده 1.50م × 1.30م، وكان الحوض مستطيل الشكل ومغطى بكيبوريوم (Ciborium). اما المستوى الثاني او الفترة الثانية، فقد ارتفع بحوالي 0.37م بالنسبة للمستوى الاول، وعوض الحوض المستطيل للمستوى الاول بحوض دائري في نفس المكان للمستوى الثاني.

اما فيما يخص التجهيزات الليتورجية، فقد عُثر على مساحة مبلطة (4.50م × 3.80م) بست بلاطات حجرية في الجناح الاوسط، تحتل المجال المحصور ما بين منتصف البلاطة الثانية ابتداءً من الحنية والبلاطة الثالثة، ومن المرجح كان فوقها المذبح. تمت الاشارة الى وجود قبر على عمق 0.90م من الارضية، مع العثور على ستة نواويس الذخائر في الحفرتين A وB (**المخطط 05**).

احتوت الحفرة B على ثلاثة عقود ايداع الرفات منقوشة على الرصاص (Pb) (**الصورة 02، أ، ب، ج**) ذكر فيها اسماء القديسين الشهداء الاتية اسماءهم: ماركوس واوبتاتوس و108 شهيد. و108 شهيد. وماكسيما وسوكوندا ودوناتيلا. وقيمينيوس ويانواريوس. وعُثر

في الحفرة A على نقيشة شهيد محفورة على اناء (**الصورة 03**) وهو: دوناتوس، ونقيشة اخرى مشابهة على الحجر (**الصورة 04**) نقشت اسماء قديسين شهداء ايضا والاتية اسماءهم: ريقوليانوس وكالسوس ودوناتيانوس وباريك؟ عُثر عليها بالقرب من الحنية بالقرب من الحوض الذي احتوى على اربع اقداح شمعدانية (**الصورة 05، أ، ب، ج، د**)، كانت تحمل الشموع تحمل اسماء قديسين وهي: و... يانوس؟ وريقوليانوس وداتيانيوس ودوناتيانوس وكالسوس وباريك. استعملت النقيشة على الحجر كغطاء لحوض نواويس الذخائر. وضعت ست بلاطات بطريقة غير منتظمة، كانت تحدها اشرطة اسمنتية، كانت بدورها تمثل الخورس الذي كان مسيجا بجدران نصفية -حيث عُثر عليها اثناء التنقيب- كانت على شكل طلعة ودخلة في الجهة الشمالية للخورس. ووجدت ايضا اثار لأعمدة نصفية كانت تتخلل بلاطات الجدران النصفية التي كانت تمثل السياج.

من خلال محاضر ايداع الرفات المكتشفة أرخت البازيليكا بـــ550م، ولكن احتمال ان البازيليكا كانت نشيطة قبل هذا التاريخ. تم استخراج اسماء قديسين شهداء وهم شهداء محليون.

البيبليوغرافيا:

LOGEART, F. ; BERTHIER, A., « Deux basiliques chrétiennes de Sila », In RSAC, 63, 19351936-, pp. 239274-.

CHRISTOFLE, M., Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectuées en 19331936-1935-1934- par le service des monuments historiques de l’Algérie, Alger, 1938, pp. 298305-.

BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger, 1942, n°04, pp. 4143-.

KHATCHATRIAN, A., Les baptistères paléochrétiens, plans, notices et bibliographie, Paris, 1962, p. 130.

DUVAL, Y., Loca sanctorum africae, le culte des martyrs en Afrique du VI au V siècle, T. I, Rome, 1982, n°106111-, pp. 215231-.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d’Afrique du nord, I. Inventaire de l’Algérie, 1. Texte, Paris, 1992, pp. 210212-.

مجلة منبر التراث الأثري ـــ

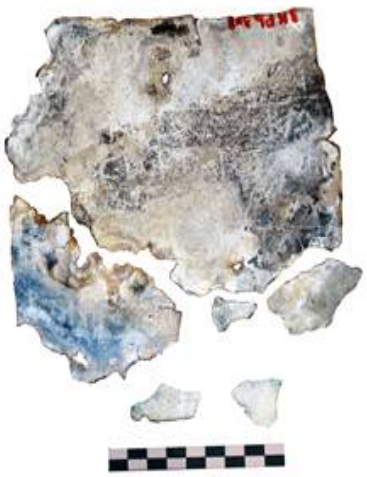

أ. الوجه

[I]n nomine Patris et
[Fi]li et Sp(iritu)s s(an)c(t)i deposi-
te sunt r(e)l(i)q(uie) s(ancto)r(u)m m(artu)r(u)m
Marci, Optati et CVIII,
die prizie n(o)n(as) Maiias
ind(ictione) III, a v(i)r(o) be(a)t(issi)mo
Bonifatio ep(i)sco(po)
et propris
[...] All [...] S

الترجمة: باسم الآب والابن وروح القدس، قد وضعت رفات كل من القديسين الشهداء ماركوس وأوبتاتوس و108 اخرون، في اواخر نونس من شهر مايوس، الاجتماع الثالث، من طرف الاسقف المحظوظ بونيفاتيوس وبيديه (؟)

أ. الظهر

I(n)p(eratribus) D(o)m(i)no n(ostro) Mauricio
Tiberio et Costanti[no]
Aug(ustis), te(m)p(o)r(i)b(u)s gl(o)r(io)si
Gennadi m(a)g(istri) [m(i)l(itum)]
Africe et exc(ensu)l(e)
Fel(i)c(is)s(i)m(i) pr(es)b(yteri) mart(u)r(i)s (?)
CRECS OB REZ CS (= z(a)c(onu)s)
PZS M CNI

الترجمة: في فترة حكم سيدنا موريكيوس تيبيريوس وقسطنطينة، الاوغسطيان، في وقت جيناديوس المجيد، سيد جيش افريقيا وقنصل سابق. من الكاهن فيليكيسيموس(؟)، الشهيد (؟)....

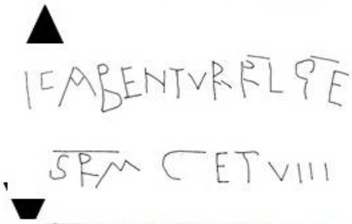

ب.

Ic abentur r(e)l(i)q(ui)e
s(ancto)r(u)m C et VIII

التزجمة: هنا وجدنا رفات 108 قديس.

ج. الوجه

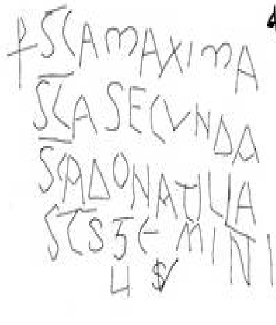

1

A) S(an)c(t)a Maxima التزجمة: القديسة ماكسيما
s(an)c(t)a Secunda القديسة سكوندا
s(an)c(t)a Donatilla القديسة دوناتيلا
S(an)c(tu)s Gemini/us القديس قيمينيوس

ج. الظهر

B) S(an)c(t)as tres للقديسات الثلاث
Ispes إسباس (العقيدة)
Fides فيداس (الامل)
Caritas كاريتاس (الحسنة)
S(an)c(tu)s Ianu arius القديس يانواريوس

الترجمة:

الصورة 02: أ وب وج: ثلاثة عقود ايداع الرفات منقوشة على الرصاص (Pb). الصورة عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن: DUVAL, Y., Op. Cit., pp. 218, 221, 223-224.

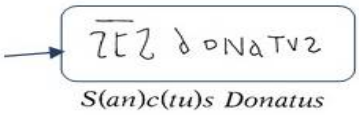

S(an)c(tu)s Donatus

الترجمة: القديس دوناتوس.

الصورة 03: اناء عليه نقيشة شهيد. الصورة عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن: DUVAL, Y., Op. Cit., p. 222.

الترجمة:

ريقوليانوس ...Regu]lia
كالسوس [ni...]upi, Vi
باريك؟ [ctoris?... ...]s, Celsi
دوناتيانوس [Barici? ...D]onatia
[ni... posite? a sancto] Emerito episcopo
...]II ind(ictione) XIII

الصورة 04: حجارة عليها نقيشة تبجيلية لشهداء. الصورة عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن:
DUVAL, Y., Op. Cit., p. 226.

ب.

أ.

الى القديس ريقوليانوس

الى القديس ....يانوس

الى القديسين داتيانيوس ودوناتيانوس

الى القديسين كالسوس وباريك

الصورة 05: أ وب وج ود: اربع اقداح شمعدانية نقشت عليها اسماء قديسين شهداء.

الصورة عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن DUVAL, Y., Op. Cit., pp. 228-230.

1 - 5 هنشير البحيرة (المخطط 06): البازيليكا 02:

ينتمي موقع هنشير البحيرة اداريا الى بلدية المشيرة / ولاية ميلة. لم يشخص الموقع القديم بعد، حيث عُثر على ثلاث بازيليكات في حين لم يتأكد من الرابعة المذكورة من طرف بارتيي.

الصورة 06: لوكولس الرفات في البازيليكا الثانية لموقع هنشير البحيرة. عن:
.BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., Op. Cit

توجد البازيليكا الثانية على بُعد حوالي 100م غرب البرج المحرس البيزنطي. حالة حفظها مجهولة الى حد الان. لم يحدد الاتجاه بدقة ولكنها تتجه نحو الشرق، حسب وصف

الجدران الخارجية للبازيليكا الشمالية والجنوبية. ابعاد البازيليكا هي: الطول؟×6.55م، اما حيز العبادة: 7.35م×حوالي 5.50م، بنيت جدرانه بالتقنية الافريقية بمواد انشائية معادة الاستعمال. وجد بارتيي جدار قليل الارتفاع يشبه المقعد بعرض 0.55م في حيز العبادة على طول الجدار الشمالي والجدار الغربي. او ربما حسب قي، ما هو الا عبارة عن اساس ساند للجدارين. يتكون حيز العبادة من ثلاثة اجنحة، تتخللها اعمدة حيث عثر على قاعدة وتاجين بشكل شبه منحرف (Imposte)؟ لم ينقب بارتيي صدر البازيليكا، بسبب عدم وجود درج يؤدي الى حنية مرتفعة.

اما فيما يخص التجهيزات الليتورجية، اشار بارتيي الى لوكولس[18] رفات (**الصورة 06**) يتقدم الحنية بـ0.80م. كان مغطى بقرميدتين مقاساتها 0.24م الطول × 0.23م العرض × 0.27م الارتفاع. احتوى على وعاء مجبس وعظام، وكسر فخارية وزجاجية وعقد ايداع الرفات على بلاطة جبسية (**الصورة 07**) تذكر شهيدين فورتونيسيانوس وسيلفانوس، ربما محليين؟ وان صيغة in oc loco بدل hic انتشرت في فترة متأخرة من هذه الفترة[19]، ومنه ارخت النقيشة التبجيلية للشهيدين للقرن السادس ميلادي، ولكن يمكن انها اودعت بعد بناء البازيليكا.

البيبليوغرافيا:

BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger, 1942, n°38, pp. 108-110.

DUVAL, Y., Loca sanctorum africae, le culte des martyrs en Afrique du VI au V siècle, I, Rome, 1982, n°115, pp. 243244-

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, 2. Illustration, Paris, 1992, pp. 200201-.

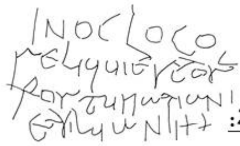

الترجمة:

هنا وضعت رفات
كل من القديسين
فورتونيسيانوس
وسيلفانوس

In oc loco
reliquie s(an)c(t)or(um)
fortunatziani
et silvani (deux croix?).

الصورة 07: عقد ايداع الرفات على بلاطة جبسية للشهيدين فورتونيسيانوس وسيلفانوس.

الصورة عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن DUVAL, Y., Op. Cit., p. 244.

االتأريخ	الموقع	نوع السند	اسماء الشهداء القديسيين	محلي او مستورد
الفترة البيزنطية (القرنين السادس والسابع ميلاديين)	قسنطينة المدينة	-	-	-
	قسنطينة سيدي مبروك	-	-	-
	محيجبة	بلاطة حجرية	-	-
	برج القصر	ورقة من معدن الرصاص	ماركوس واوبتاتوس و108 شهيد. ماكسيما وسوكوندا ودوناتيلا. قيمينيوس ويانواريوس.	محليون.
		آنية فخارية	دوناتوس.	محلي.
		بلاطة حجرية	ريقوليانوس وكلسوس ودوناتيانوس وباريك ؟	محليون.
		اقداح شمعدانية	ريقوليانوس وكلسوس وباريك وداتيانيوس ودوناتيانوس؟ و... يانوس.	محليون.
	هنشير البحيرة	كسر فخارية مغطاة بطبقة من الجبس عليها كتابة = عقد ايداع الرفات	فورتوناتيانوس وسيلفانوس.	محليون.

يمكن تلخيص ما تقدمنا به من معطيات اثرية المتمثلة في اللقى الاثرية المكتشفة في محتواها الاثري المتمثل في البازيليكات المسيحية في شكل جدول، كما يلي:

خاتمة:

من خلال ما تقدمنا به من معطيات اثرية تخص الحياة الدينية للإفريقي المسيحي وما لخصناه في الجدول، نستنتج عدة نقاط، اهمها:

-العلاقة المباشرة للمسيحي الافريقي بالحياة الثانية.

-طلب الحماية المباشرة من القديسيين الشهداء في الحياة الدنيا والاخرة.

-تنوع اشكال ومواد السند الذي كتبت عليها هذه النقائش.

-تخليد ذكرى القديسين الشهداء في افريقيا واقامة اماكن خاصة بهم تتمثل في البازيليكات الجنائزية.

-تخصيص اماكن خاصة في البازيليكات المسيحية العادية المخصصة للحياة الدينية.

-انتشار هذا الطقس خاصة في الفترة البيزنطية في افريقيا، ودخول رزنامة تقديس الشهداء القديسين الشرقية مع الاحتلال البيزنطي لإفريقيا.

هوامش البحث:

1 - المبكر، محمد، المسيحية والترومن في شمال افريقيا القديم، من عهد ديوكليسيانوس الى الغزو الوندالي (284م429-م)، الجزء الاول، الرباط، 2004م، ص. 311؛

SAUMAGNE, C., « La crise de l'autorité en Afrique du début du IV siècle de notre ère, Observations relatives à quelques monnaies frappées à Carthage entre 305312- ap.Jc », in Revue tunisienne, 1921, pp. 133142-.

2 - حاجي، ياسين رابح، البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا، دراسة أثرية تنميطية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008، ص. 25.؛ RIVIERE, Y., « Constantin, le crime et le christianisme : contribution à l'étude des lois et des mœurs de l'antiquité tardive », in AnTard., 10, 2002, p. 328.

3 - حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق.؛ BALLU, A., Les ruines de Timgad (Thamugadi), Paris, 1897, p. 36.

4 - OPTAT DE MILEVE, Traité contre les donatistes, traduit par LABROUSSE, M., Paris, I., 1995, II., 1996.

5 - PROVOOST, A., « L'implantation des édifices ecclésiastiques d'après les textes littéraires antérieurs à 400 ap.Jc », in Actes du XI CIAC, I., Rome, 1989, p. 324, n°03.

6 - EUSEBE DE CESAREE, Historia ecclesiastica, 8, 1, 5.

7 - لفهم الصراع وحيثياته، يراجع: حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، ص ص. 26-31.؛ المبكر، محمد، المرجع السابق، ص. 309.؛

BRISSON, J-P., Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Sévère à l'invasion vandale, Paris, 1958.

8 - هم الذين قدموا انفسهم في سبيل الحفاظ على الكتب والرسائل المقدسة وفي سبيل المسيح، يسمون باللاتينية: Confessores.

9 - هم الذين سلموا الكتب والرسائل المقدسة خوفا من التعذيب والنفي والموت، يسمون باللاتينية: Traditores.

10 - للمزيد من التوضيح يراجع : حاجي، ياسين رابح، "عبادة القديسين في تيبازة في الفترة المسيحية-البيزنطية"، مجلة دفاتر البحوث العلمية، العدد الثاني، خاص بالملتقى الوطني الاول حول "التراث التاريخي والاثري لولاية تيبازة"، يومي 08 و09 ماي 2013، جوان 2013، ص ص. 49-74.

11 - كرسائل الاسقف اوغسطينوس، حين تكلم عن الدوناتيون والدوارون عند زيارتهم لأضرحة شهداءهم وقديسيهم وكيفية الاحتفال وقيام الطقوس بها.

12 - المبكر، محمد، الدوارون في شمال افريقيا في القرنين الرابع والخامس، دراسة لماهية الدوارين وطبيعة حركتهم وعلاقاتهم بالدوناتية، رسالة للحصول على درجة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، جامعة محمد بن عبد الله فاس، 1980م-1981م، ص ص. 169-170.

13 - LANCEL, S., Actes de la conférence de Carthage en 411, I., Paris, 1972.

14 - المبكر، محمد، الدوارون في شمال افريقيا في القرنين الرابع والخامس، دراسة لماهية الدوارين وطبيعة حركتهم وعلاقاتهم بالدوناتية، رسالة للحصول على درجة دبلوم

الدراسات العليا في التاريخ القديم، جامعة محمد بن عبد الله فاس، 1980م1981-م، ص. 13.؛

CHASTAGNOL, A., La fin du monde antique. De Stilicon à Justinien (V siècle et début VI), Paris, 1976, p. 42. ; DANIELOU, MARROU, H-I., Nouvelle histoire de l'église, I., Des origines à saint Grégoire le grand (604), Paris, 1963, p. 287.

15 - Code Théodosien, XII, I, 176. ; CHASTAGNOL, A., Op. Cit., pp. 42, 43, 231232-.

16 - حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، 2013، ص. 50.

17 - ينتمي هذا الموقع اداريا الى بلدية بن باديس ولاية قسنطينة.

18 - للمزيد من التفصيل يراجع: حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، 2008، ص ص. 376-371.

19 - DUVAL, Y., Op. Cit., p. 244.